تعقيبات

للاستاذ أنور المعداوى

وجهات نظر فى رسالة:

أوفر شكر وأجل تحية .

عدت إلى دمشق من نزهة مضنية فى حلب وضواحيها كما عدت أنت من رحلتك الطويلة : « خيالا ينفض بعدها يديه من خداع الأوهام ويلقى عصاه » . . واستقبلنى المرض فاعتصمت بالسرير أياما طويتها فى القراءة والتأمل ، ولقد طلعت على الرسالة قبل غيرها من بريد الكتب والمجلات ، فقرأت تعقيبك على كلمتى الأخيرة ، وأسفت أشد الأسف ان حالت الحوائل دون زيارة الاسكندرية والقاهرة خلال انعقاد المؤتمر الثقافى الثانى ، ويسرنى أن تعلم أن رؤيتك ورؤية الأستاذ الزيات تعدلان عندى هذا المؤتمر الثقافى الذى لا يعدو أن يكون مؤتمر كلام وطعام دون أن يكون مؤتمر تنفيذ وأفعال . . وماعهدى بالمؤتمر الثقافى الأول الذى عقد فى « بيت مرى » من لبنان ببعيد ، وما أحسب حكومة « عربية » واحدة نفذت قرارات المؤتمر الثقافى الأول حتى يحق لها أن تشترك فى المؤتمر الثقافى الثانى !

على انى آملة من الله أن يكتب لنا لقاء قريبا فى أعقاب الخريف فأزور القاهرة وألقاك وألقى الأستاذ الزيات فى دار الرسالة ، ونبحث طويلا فى « شؤون الأدب والأدباء ومشكلة الكتب وأزمة القراء » . . ولعلها أحب الأحاديث إلى نفسى وأشهاها إلى خاطرى .

لا أحب أن نتقارض الثناء فنتحدث عن اسلوبى الذى يتميز بالنضج والأصالة ، وأتحدث عن شباب أسلوبك وأناقة صورك ورفاهة أخيلتك ، ولكنها كلمة صريحة أود أن أطلعك عليها فلقد قرأتك كثيرا وعرفتك كما تعرف نفسك . ولكنى فى هذه المرة اكتشفت ناحية أدبية جديدة فيك وهى أن لك حين تكتب عقل « طه » وقلب « الزيات » . . ومارأيت أحدا غيرك من أدباء هذا العصر ؛ استطاع على طراءة الشباب أن يبلغ مابلغت من اسلوب مكين متين ، وصور أنيقة رقيقة ، وخيال خصيب عجيب ! فاحرص مااستطعت على صداقة الزيات واحرص على مكانك من رسالته ، فليس أجدى على الأديب مثل أن يلقى الأديب ويصادقه ويعايشه .

مع هذه الرسالة قصيدتى « قصة قلب » وهى لون جديد من ألوان الشعر العاطفى يلخص قصة القلب الانسانى ويتحدث عن الحب حديثا جديدا أحب أن تعقب عليها وعلى أختها « القمر » فى فصل من فصولك الرائعة ، لأنه يبهجنى ويثلج صدرى أن أنقد وانتقد ، ويسرنى أن أصغى إلى نقد من أعابشهم من رجال الأدب والفكر . . إن نقد الأحياء للاحياء أجدى من نقد الأحياء للموتى ، وأعاظم رجال الفكر فى بلاد الناس يعنون أشد العناية بهذا النقد لأنهم يرون فيه تجاوبا وتوجيها .

كنت أحب أن أزورك فى القاهرة ، وما كنت أدرى أن قصيدتى « القمر » و « قصة قلب » ستنوبان عنى فى هذه الزيارة فأكرم وفادتهما لأنها حبيبتان إلى عزيزتان على أثيرتان عندى .

وذلك التحية الطيبة والمودة الداعة والشكر الوفور .

(دمشق - سورية) الهجران شوقى

لست أدرى ماذا أقول للانسة هجران شوقى بعد أن أسرفت فى الثناء . . انها وجهة نظر أولى تنقلها إلى رسالتها الثالثة وأقف منها كما وقف الزعيم الخالد سعد زغلول من قوم أسرفوا فى الثناء عليه . أتدرى الانسة ماذا قال لهم سعد ؟ لقد قال لهم عبارته المشهورة : « لقد أخجلتم تواضعنا » فصارت مثلا من الأمثال !

أعمق الشكر يا آنسة ، وأخلص الأسف أن حالت الظروف بينك وبين الحضور وبيننا وبين رؤيتك . . ولئن عاقك اليوم المشهود عن هذه الأمنية فأرجو ألا يعوقك الغد المرتقب ، وسواء صافحت روحك أنسام هذه الأرض الطيبة فى أعقاب الخريف أم فى أوائل الشتاء ، فإننى أقول لك كما قلت بالأمس مرحبا بك ضيفة كريمة تلقى فى ديارنا أهلا غير الأهل ووطنا غير الوطن .

صديقتى لقد كانت وجهة نظرك الثانية من المؤتمر الثقافى لفتة

مشرقة ، وأشهد لقد كانت هي وجهة نظري وكأننا كنا في اتفاق الرأي على ميعاد . ولقد كنت على وشك الكتابة حول هذا الموضوع قبل انعقاد المؤتمر بأيام ، ولكنني تذكرت ان هناك أناسا يهمهم أن ينتهي المؤتمر دون أن يثار من حوله الغبار ! وما كففت القلم مجاملة لهم على حساب الحقيقة الصارخة والواقع الشهيد ولكن لأنني قد وضعت من ميزان أوهامهم في كفة الشك والاتهام . . من هنا كففت قلمي ورجوت للمؤتمر شيئا من التوفيق ينسى الناس في ظلاله بعض ماساورهم من خيبة الرجاء في المؤتمر الأول ، ولكن البداية السيئة التي تجلت في مظاهر الارتجال حتى أوشك الشمل أن يتفرق؛ هذه البداية كانت تشير إلى النهاية وتغني عن كل وجهة نظر في مجال التعليق !

ومع ذلك فقد انتهى المؤتمر وأشهد ماخرجت منه بشيء ذي خطر سوى محاضرة الأستاذ الزيات ، هذه المحاضرة القيمة التي أقول فيها رأيي خالصا لوجه الحق لا لوجه الصداقة، وما تعودت أن أجامل أحدا ولو بلغت أواصر الود بيني وبينه مابلغت بيني وبين هذا الصديق . . وما أريد أن أحرجه حين أطلب اليه أن يجهر برأيه فيما أصاب المؤتمر من نجاح أو فيما مني به من اخفاق ، بنفس الصراحة السافرة التي زخر بها رأيه الآخر في حاضر الأدب العربي الحديث .

أما عن وجهة نظرك الثالثة يا آنسة فلا أوافقك على شقها الأول وإن كنت أوافقك على شقها الأخير : تقولين عني إن لي «عقل» طه حين أكتب « وقلب » الزيات ؟ . . من الصعب أن تتشابه العقول في مناهج التفكير وطرائق التعبير ، لأن لكل أديب عقله الخاص الذي هو من صنع الله أولا ومن صنعه هو في نهاية المطاف ، أعني أنه وليد نشأته ونتاج ثقافته وثمرة مداركه وكل هذه الأشياء لابد أن تنعكس آثارها الواضحة على مظاهر النشاط العقلي وتوجه كلا منها إلى طريق : . ومن هنا كان عقل طه غير عقل العقاد ؛ وعقل العقاد غير عقل الزيات ؛ وعقل الزيات غير عقل الحكيم ، وعقل الحكيم غير عقل تيمور . أما القلوب فقد تلتقي في دقة الشعور وجيشان العاطفة ، وتأتلف فيها وخفقة خفقة أمام هزة من هزات الكون أو مشهد من مشاهد الحياة ، لأن رواسب الانسانية المستقرة في اعماق النفوس قسط مشترك يتقاسمه الاحياء كل بنصيب !

بقيت إشارتك إلى الحرص على صداقة الزيات ومكان هذا القلم من رسالته . . أود أن أقول لك إن مابيني وبيني من قرابة الروح وأصالة المودة ظاهرة يعز وجودها في مثل هذا المجتمع الذي نعيش فيه ؛ وليس لمكاني في الرسالة أثر يذكر في هذا الذي يربطني بصاحبها منذ عرفته ، وانما هو وفاء يقابل بوفاء ! أما عن قصيدتك « قصة قلب » وأختها « القمر » فوعدي معهما في ميدان النقد آت لاريب فيه ، وذلك بعد أن تقع عليهما الأعين والأذواق في الأيام المقبلة . واذا كنا قد تأخرنا في نشرهما بعض الوقت فمرجع ذلك إلى مابين أيدينا من قصائد أخرى قد سبقت في الوصول ويقتضي الإنصاف أن ينشر كل شيء في وقته المعلوم

كلمات من شوبنهور:

مما يروى عن الفيلسوف الألماني شوبنهور أنه خرج على الناس يوماً بمذهب فلسفي جديد حمله اليهم كتابة المعروف «العالم كإرادة وفكرة» .. وأعجب النقاد بكتاب الفيلسوف ناعتين مذهبه بأنه غزوة موفقة في ميدان الفكر الاوربي عامة وميدان الفكر الألماني على الأخص ، ولكن ناقدا واحدا تصدى للكتاب القيم في حملة ساخطة هدفها الحط من قدره وقد صاحبه . وفكر شوبنهور طويلا : هل يتناول قلمه ليناقش هذا الناقد المطموس ؟ وبعد جولة فكرية طاف بها حول عقلية ناقدة ، انتهى إلى أنه لايستحق منه غير هذه الكلمات : « إن بعض آثار الفكر مثلها كمثل المرآة إذا نظر فيها الحمار . . فلا ينتظر أن يجد وجه ملاك !

وبالأمس خرج كاتب هذه السطور على الناس أيضا بمذهب جديد في النقد وهو مذهب « الأداء النفسي » ... وسجلت صفحات « الرسالة » ورسائل الأدباء مدى مالقي المذهب الجديد من تقدير وثناء ... ولكن ناقدا واحدا شق عليه ألا يكون هناك صوت ينكر ورأي يعارض ، فكتب في البريد الأدبي من العدد الماضي من الرسالة كلمة ختمها بهذه اللمحة البارعة : « إن القلم يوشك أن يقرض اللجام ليكشف الغطاء عن الأداء النفسي ، وذاك أمر أن يبدو الأستاذ المداوي» ... من هنا تذكرت رد شوبنهور

على ناقده . ولعل أول شيء ذكرني بهذا الرد الخالد هو كلمة « اللجام » التي وردت في لمحة الأديب الطنطاوي المجهول !

أما الشيء الثاني الذي ذكرني شوبنهور فهو موقفه من ناقدة المعروف حين رأى أنه غير جدير بمناقشته : وكذلك عزمت على أن أقف نفس الموقف من ناقدي الذي لا يعرفه أحد وأرجو ألا يغضب إذا ما أهملت ذكر اسمه خشية أن يعرفه الناس مرتين . . وخمول الذكر خير من الذكر الذميم على كل حال !!

لقد تعرض هذا المجهول المظيم لما كنت قد كتبته عن الشاعر اللبناني يوسف حداد ، متخيلا أنني سأهتم بمناقشته لتستطيع أن يطل برأسه على دنيا الأدب والأدباء ... معذرة يا عزيزي إذا ما أغلقت الباب في وجهك ، لأنني لا أهتم بمناقشة الرؤوس الفارغة ولو ركبت فوق أعناق طويلة ، تتيح لها أن تطل على دنيا الأدب والأدباء من حين إلى حين !

مذهب الأداء النفسي لا يرضيك ؟ من أنت إذا رضيت أم سخطت ؟! إن الجمال إذا تمثل في لوحة الرسام أو سيمفونية الموسيقار أو ميزان الناقد أو قصيدة الشاعر ، ثم وجد من ينكر أصداءه في فجاج النفس وأضواءه في شعاب القلب فان الذنب ليس ذنب الجمال ... ولكنه ذنب كل عين عمياء وكل أذن صماء وكل شعور بليد !!

بين عزيز أباظة وأم كلثوم :

في العدد الماضي من الرسالة قصيدة محلقة مهداة إلى الآنسة أم كلثوم من الأستاذ الشاعر عزيز أباظة . وما أريد أن أعقب على فن الشاعر وإنما الذي أريد أن أعقب عليه هو ذوق المطربة !

لقد أثارت عبارة الاهداء التي وجهها عزيز باشا إلى الآنسة أم كلثوم بعض الخواطر الكامنة في النفس منذ أمد بعيد ... وقبل أن أثير بين يدي القارىء شيئا من هذه الخواطر المثارة أعيد هنا نشر عبارة الاهداء « اعتدت أن أهدي اليك شيئا من الشعر وأنا غريب الدار وتخولين إنني أفعل ذلك توفيرا للهدية وأقول انني أفعله توقيرا للمهدى لها : فهل تصنعين فيه لحنا ؟ لقد خلدت الخالدين فتنزلي إلى المغمورين »

أرأيت إلى هذا الاهداء المضمخ بعطر التواضع وانكار الذات ؟ ان عزيز أباظة ليس من الشعراء المغمورين ولكنه من الشعراء الملحوظين . وهكذا يصنع التواضع بأهله حين يجردهم من محاسنهم في رأي أنفسهم ويزيد من تلك المحاسن في رأي الناس !

بعد هذا أفتح الباب على مصراعيه فأقول للاستاذ الشاعر : هون عليك ... ان الآنسة أم كلثوم لا تستطيع أن ترفع من شأن شاعر لم يرفعه شعره أو تخفض من قدر شاعر قد ذاع في الناس قدره هذا اذا غنت الاول ولم تغن للاخير ! ما معنى هذه الكلمات ؟ معناها عندي أنها غنت لشوقي العظيم المشهور فلم تضف اليه مجدا فوق مجده أو معجبا ينضم الى زمرة المعجبين ، ولو لم تغن له لبقي شوقي كما كان ... وغنت لمصطفى علي عبد الرحمن الشاعر المغمور فلم تستطع أن تنتشله من مهاوي الخمول أو زوايا العدم ، ولو غنت له ألف مرة لبقي كما كان ... وأعجب العجب في هذا الذوق أنه لا يجد حرجا في المساواة بين القمم والسفوح !!

لو اقتصرت الآنسة أم كلثوم على شعر شوقي وحده لالتمسنا لها بعض العذر لا العذر كله ، لأن هناك شعراء لو أطلت على شعرهم لوجدت فيه من الروائع ما يشرف به الغناء ... ولكنها تنسى شعر علي محمود طه مثلا لتصدح بشعر مصطفى عبد الرحمن ! ماذا أقول في هذا الذوق ؟ هذا الذوق الهابط سواء أكان منسوبا إليها أم كان منسوبا إلى « مستشارها الفني » أحد رامي ؟ ! لقد بلغني أن رامي هو الذي يشير عليها بأن تغني لهذا ولا تغني لذاك ... إذا كان هذا صحيحا فأحب أن أنصح للآنسة أم كلثوم بأن تستشير الشعراء في اختيار الشعر الصالح للتغريد ، لأن رامي قد ترك صفوف الشعراء منذ عرفها وانضم إلى صفوف الزجالين !

لماذا لم يشر عليها المستشار الفني بأن ترجع إلى شعر علي محمود طه وهو سيد الشعراء « الغنائيين » في الأدب العربي قديمه وحديثه ؟ سؤال يحتاج إلى جواب ... ومع ذلك يتطوع صديق لبق بهذا الجواب فيهمس في أذني بهذه الكلمات : هل نسيت أن رامي كان هو الإنسان الوحيد الذي لم يودع الشاعر الراحل بكلمة رثاء ؟ وهل نسيت أن السبب في هذا الجحود هو شعوره بأن علي محمود طه قد اعتدى على حقه في وكالة دار الكتب المصرية قبل أن يلقى ربه بأسابيع ؟ ابحث عن النتائج يا صديقي في ضوء المقدمات !

منطق سليم لم أستطع له دفعاً ... ولكن متى كان على محمود طه محتاجاً إلى الخلود تضفيه على ذكراه كلمة يرثيه بها زجال أو قصيدة تغنيها له إحدى المطربات ؟ !

أنور المعداوي